

تفسير ابن كثير

قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ

وقوله : (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي

الأحوص ، عن ابن مسعود [رضي الله عنه] : هذه الآية كقوله تعالى : (كيف تكفرون

بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) [البقرة : 28] وكذا

قال ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، وأبو مالك . وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه

ولا مرية . وقال السدي : أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخطبوا ، ثم أميتوا ثم أحيوا

يوم القيامة . وقال ابن زيد : أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم ، ثم خلقهم في

الأرحام ثم أماتهم [ثم أحياهم] يوم القيامة . وهذان القولان - من السدي وابن زيد -

ضعيفان ؛ لأنه يلزمهما على ما قالا ثلاث إحياءات وإماتات . والصحيح قول ابن مسعود

وابن عباس ومن تابعهما . والمقصود من هذا كله : أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف

بين يدي الله - عز وجل - في عرصات القيامة ، كما قال : (ولو ترى إذ المجرمون

ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) [السجدة

: 12 [، فلا يجابون . ثم إذا رأوا النار وعاینوها ووقفوا علیها ، ونظروا إلى ما فیها من

العذاب والنكال ، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة ، فلا يجابون ، قال الله تعالى : (

ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا یا لیتنا نرد ولا نکذب بآیات ربنا ونکون من المؤمنین

بل بدا لهم ما كانوا یخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لکاذبون) [الأنعام

: 27 ، 28] فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسیسها ومقامعها وأغلالها ، کان سؤالهم

للرجعة أشد وأعظم ، (وهم یصطرخون فیها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غیر الذی کننا نعمل

أولم نعمرکم ما یتذکر فیہ من تذکر وجاءکم النذیر فذوقوا فما للظالمین من نصیر) [

فاطر : 37] ، (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . قال اخسئوا فیها ولا تکلمون) [

المؤمنون : 107 ، 108] ، وفي هذه الآية الکریمة تطفوا فی السؤال ، وقدموا بین یدی

کلامهم مقدمة ، وهي قولهم : (ربنا أمتنا اثنتین وأحییتنا اثنتین) أي : قدرتك عظیمه ،

فإنک أحییتنا بعد ما کننا أمواتا ، ثم أمتنا ثم أحییتنا ، فأنت قادر على ما تشاء ، وقد

اعترفنا بذنوبنا ، وإننا کننا ظالمین لأنفسنا فی الدار الدنیا ، (فهل إلى خروج من سبیل)

أي فهل أنت مجیبنا إلى أن تعیدنا إلى الدار الدنیا ؟ فإنک قادر على ذلك ؛ لنعمل غیر الذی

كنا نعمل ، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإننا ظالمون . فأجيئوا ألا سبيل إلى عودكم
ومرجعكم إلى الدار الدنيا . ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا
تقتضيه بل تجحده وتنفيه ؛ ولهذا قال تعالى :